

المقصدية في السورر المكية القصار

م.م كويان إسماعيل جمعه

قسم اللغة العربية

فاكلتي التربية

جامعة كويه

القرآن الكريم مازال عطاؤه مستمرًا وهذه الدراسات اللسانية الحديثة ليست حديثة العهد على القرآن الكريم وإن جاءت بمسميات مختلفة ، وتتضمن آيات القرآن الكريم مقصديات عامة وخاصة وجزئية وعلى الباحثين الإهتمام بهذه الدراسات وبيان القصد منها عن طريق تفسير الآيات وتحليلها ، فكل نص لغوي أو غير لغوي لابد أن يحتوي على المعنى الباطن من وراء اللفظ الظاهري ، فتجمع السحب يشير إلى إمكانية حدوث المطر ولكن قد تأتي عاصفة وتشتت هذه السحب ولا تتساقط الأمطار ، وهكذا هي دلالة المقصدية ، فترى شيئًا ظاهرًا ولكن في الباطن يقصد شيئًا آخر ويكون القصد منه ضمنيًا يُفهم من تحليل الكلام والوصول إلى المقصد الحقيقي

لقد كان لعلماء العرب القدامى أثرًا كبيرًا في هذا المجال ، ولكن كما ذكرته في البحث كانت مشتتة ومبعثرة في بطون الكتب والمؤلفات ، والمقصدية إحدى أوجه هذه المواضيع المشتتة ولم يكن موضوعاً مستق

لأ كما فعلته الدراسات الغربية ، إذ قامت هذه الدراسات بتسليط الضوء على النظريات اللسانية

تعريف القصد :

فالقصد : لغةً، استقامة الطريق ، قصد يقصد قصداً فهو قاصد ، وقوله تعالى (وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ ۚ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ) (النحل : 9) ، أي على الله تبين الطريق المستقيم

أما اصطلاحاً فقد توالى التعريفات لهذا المصطلح وقد عرفه الطاهر ابن عاشور في كتابه ، حيث يقول : ((هي الأعمال والتصرفات المقصودة لذاتها ، والتي تسعى النفوس إلى تحصيلها بمساعٍ شتى)) ، وتلك تنقسم على مقاصد الناس في تصرفاتهم ومقاصد الشرع .

فالمقصدية بدأت بعمل الشاطبي ودوّنت في عصره ، واستقرت تاريخياً على يد كبار العلماء مثل ابن عاشور (ت1398 هـ) والإبراهيمي ،

ويرتكز أثر المقصدية بوجه عام على نواة المعنى ، إذ يلزم على المرسل مراعاة التعبير ليتناسب مع العناصر السياقية الأخرى ، وبهذا تكمن وظيفة اللغة في تحقيق التفاعل بين طرفي الخطاب ، وبهذا تتضح المقصدية بمعرفة عناصرها .

المقصدية عند علماء العرب القدامى :

غاية المقصدية هي التواصل الفكري واللغوي بين طرفي الخطاب ، وإيصال المعنى بصورة مباشرة أو غير مباشرة من المرسل إلى المرسل إليه ، وهذا ما حثّ عليه علماء العرب .

فقد تطرقوا إلى المقصدية ولكنها كانت مبعثرة في كتبهم ، ولكنهم أثبتوا أنّ القصد هو أحد وسائل التواصل ، ومن العلماء الذين تطرقوا إلى القصد :

سيبويه (ت180 هـ) ، فقد درج الحديث عنه في باب الاستقامة من الكلام والإحالة ، فيذكر أنّ للجملة 1. معنيين ، معنى مستقيم ومعنى محال ، فالمستقيم نحو : (آتيتك أمس) ، والمحال نحو : (آتيتك غداً) ، ينظر : (سيبويه، صفحة 1/25) ، أي استعمال الألفاظ في غير موضعها الصحيح ، وهنا ينتهي القصد في توصيله للمعنى ، فهدفه افهام المرسل إليه مقصده من خلال وضع الألفاظ في مكانها الصحيح .

الجاحظ (ت255هـ) ، فهو أيضاً له أثر كبير في شرح العملية التواصلية ، و يركز على الإبانة والإفصاح ، فهو 2. يرى أنه يجب توافر خمسة عناصر للعملية التواصلية ، وهي المرسل والمرسل إليه والرسالة والقناة والشفرة ، فالقناة . ، بمعنى طريقة التوصيل ، والشفرة هي كشف الغموض من المعنى لإيصاله بطريقة صحيحة

أبو هلال العسكري (ت 395 هـ) ، أشار العسكري إلى عملية التواصل في تعريفه للبلاغة فهو يرى بأنها : ((3. كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه من نفسه كتمكنه من نفسك مع صورة مقبولة ، ومعرض حسن ...)) أي فهم مقصد الكلام في نفس المرسل إليه بصورة واضحة وحسنة

ومن أبرز المصطلحات الواردة في النحو العربي وتدل على مفهوم المقصدية ، التوكيد ، إذ يعد _من وجهة نظر
التداولية _ فعل كلامي منجز لمفهوم المقصدية في الجملة ، بشقيها المعنوي واللفظي ، وأيضاً باب (الإغراء
والتحذير) ، فيُعد من قبيل المقصدية ؛ لأنّ المتكلم ينبه المخاطب بشيء محبوبٍ فيغريه ، أو بشيء مذمومٍ فيحذره

وقد كتب علماء آخرون أيضاً عن المقصدية فكان لها نصيب في مؤلفاتهم منهم السكاكي (ت 626 هـ)، وحازم
القرطاجني (ت 694 هـ) ، وابن خلدون (ت 808 هـ) ، و نستنتج من ذلك أنّ القصد وإيصال المعنى كان محور
اهتمام العرب قديماً وأشاروا في دراساتهم إلى المرسل والمرسل إليه وإيصال المعنى

المقصدية عند اللسانين المحدثين :

فكرة المقصدية كانت موضع اهتمام المحدثين اللسانين وكانت موضوعاً للخلاف الذي نشب بين الأصوليين في سياق المناصرة المتعلقة بخلق القران الكريم , فالمعتزلة ترى أن التخاطب يحدث في شكل أفعال الكلام التي تشمل الأخبار والاستفهام والنهي والامر ، وبهذا يفترض بوجود المخاطب وزمنية المقام الخطابي ، وبعد أن طبقوا على القرآن الكريم واستنتجوا أن القران الكريم قد خلق في زمن ما ، وذهبوا إلى ان أفعال الكلام قديمة قدم المخاطبين .

مقصدية الترغيب

من طبع الإنسان حب ما ينفعه وتطمئن به نفسه وتقربه من الأشياء التي يجد منافعه منها ، وبيتعد عن كل ما يخيفه ويرهبه ، وعلى هذا الأساس كان لأسلوب الترغيب أهمية كبيرة في توحيد كلمة الله والتمسك بالعقائد التي تقربه إلى . (الله وتحذره من الشرك به) .

والترغيب هنا يكون في نيل رضا الله في الدنيا والفوز بالجنة في الآخرة ، وهذه الوسائل تنبه الشخص إلى العبادة . وحب الفضائل الأنسانية والنهي عن الشرك والفحشاء والمنكر .

فالتريغيب لغة : الرغبة ، رغب في الشيء ، أي أراده وحببه ، أما اصطلاحاً ، فهو كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة والقبول للحق ، كقوله تعالى : (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) . (وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۖ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ) (ال عمران: 110

1. عاقبة المتقين :

(. (سورة الكوثر : (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (1) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ (2) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (3)

الكوثر : هو نهر في الجنة وعد به الله تعالى رسوله الكريم ، وقالوا أنه أحلى من العسل ، وأشد بياضاً من اللبن ، وأبرد من الثلج ، وروي أنه لا يظمأ من شرب منه أبداً ، وقد فسره الآخرون بالخير الكثير ، والنهر هو نهر البدن ، يقال إنه صلاة الفجر أو صلاة العيد ، وقد وعد الله تعالى نبيه (صلى الله عليه وسلم) بالكوثر ، ويؤكد الله تعالى في هذه السورة المباركة أن الأبتَر هم الشانئون وليس الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، فذكراه باقية وملأت الدنيا . وهم لا ذكرى لهم .

2. الراحة النفسية :

- سورة الفلق : (فُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (1) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (2) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (3) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (4) (5)).

الفلق ، هو الصبح لأن الليل يفرق عنه ، ويقال في المثل (هو أبيض من فلق الصبح) ، ومنه قولهم : (سطح الفرقان) إذا طلع الفجر ، والجمع فلقان ، والفلق هو بيت في جهنم ، إذا فتح بابه صاح جميع أهل النار من شدة الحر ومن شر ما خلق ، من شر قلقة ، وشر مايفعله المكلفون من الإنس والجن ، وما يرتكبه من المعاصي والمآثم وإيذاء بعضهم بعضًا من ظلم وبغي وقتل وشتم وغير ذلك ، و ما يفعله غير المكلفين منهم كالحوانات ، من الأكل والنهش . واللدغ كالسباع وبعض الحشرات

مقصدية الترهيب

نجد في القرآن الكريم خصائص جمالية مميزة إلى حد عجز الناس عن الاتيان بمثله ، إذ تكون هذه الخصائص خلاف الكلام المعهود ، ومن ذلك افتتاح آياته وسوره بما لا عهد للعرب به ، كالحروف المقطعة أو تقارب نهاياتها وفواصل الآيات بما يشبه السجع (ينظر : عبد القاهر الجرجاني ، المقدمة) ، والذي يزيد القرآن الكريم اعجازاً و قدسيةً بما يتضمنه من رسالة خالدة للإنسانية ، وقد وصفه الرسول (صلى الله عليه وسلم) بأنه لا يمل من قراءته ولا من سماعه ، وهذا سر إعجاز القرآن الكريم ، ليس فقط في البلاغة أو التركيب أو غيرها من التراكيب ، بل من الناحية النفسية أيضاً ، والإعجاز يكمن في ثنايا الآيات ومقاصدها .

1. : سوء العاقبة

- سورة الهمزة : (وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ * الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ * كَلَّا لِيُذَبَّنَ فِي الْحُطَمَةِ *) . (وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ * نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ * إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ * فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ

ويل هنا يعني الخزي والعار والعذاب والهلاك ، في هذه السورة يذكر الله تعالى الإنسان الذي جمع المال دون التفكير بالآخرة ، حيث يجعل له الويل والسخط والعذاب للذي دعاه إلى الحق ولم يستجب ، والذي يظن أن ماله سوف يخلده ، فكلمة (ويل) كلمة تقال عند نزول المصائب، وعند التقبيح؛ فنقول : (ويلٌ لك) إذا أردت أن تقبح الشخص، وعند نزول المصيبة الشديدة يقول: (قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) (الأنبياء:14) ، وعليه سوف يعاقبون أيما عقاب لا محالة على ما كسبوا من سيء الأعمال ويستجرون إلى العذاب بالحطمة التي نارها سعير ، فتختلف حرارتها عن نيران الدنيا ، فالمقصود به هنا: الغيبة والكذب والنميمة

. : التخويف من عذاب الدنيا والعقاب في الآخرة .

- العصر : (وَالْعَصْرُ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ (3)) (وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ (3)) .

يقسم الله تعالى بالعصر لما فيه من تنبيه لتبدل الأحوال وقيل إنه الليل والنهار ، لهذا يذكر الله تعالى أن الإنسان لفي خسر ، أي عُين، أي مهلكه ، وفي ضعف ونراهم في حال شبابهم نظير قوتهم ، بقوله تعالى في سورة التين : (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (1) وَطُورِ سِينِينَ (2) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (3) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (4) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (5) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (6) فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ (7) أَلَيْسَ (8)) .

وقد فسّر الرسول (صلى الله عليه وسلم) هذه السورة بصورة أخرى ، إذ إنَّ العصر هو قسمٌ من الله تعالى بهذا الوقت ، و أن الإنسان لفي خسر ، أي أبو جهل ،

!

مر بن الخطاب ، وتواصوا بالحق هو عثمان بن عفان ، وتواصوا بالصبر هو علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم أجمعين) .

النتائج :

- عندما نقرأ نصاً شعرياً أو نثرياً نغوص في أعماق هذا النص ، لبيان مقصد المرسل ؛ لأنه في بعض الأحيان . مقصده يكمن في باطن المعنى وليس الظاهر .
- نجد أفقاً واسعاً للغة تحت هذا النمط ، لأنه يتيح له الحرية في التعبير ، والمرسل بمفهومه يصل إلى معاني . الاحتمالية الكامنة في النص .
- أن في المقاصد معان خفية هو اللفظ الذي يدل على معناه دلالة ظاهرة ، لكن المعنى في أكثر الأحيان يعطي . معنى مغايراً للفظ ، فيحتاج إلى إزالة الغموض لفهم مقصده .
- يمكن إزالة الغموض والغوص في المعاني الخفية للنص وذلك بالتأمل والبحث ، لأن هناك قرينة تدل على المعنى ،
مثلاً هناك تعبير يدل على عدة معان ، ومقصد المرسل إحدى هذه المعاني ، وعلى المرسل إليه إيجاد المقصود .

- نركز من القصدية على سياق الجملة والنص ، ونلاحظ الكلمة الواردة فيها وعلاقتها بالكلمة التي تليها وربط هذه الكلمات إلى أن تعطي مقصدية النص .
- المقصدية في الخطاب القرآني هي التي تقوم عليها البلاغة وأساسها . ، عن طريق دراسة القرآن الكريم وتأويله